الكتاب المرقوم

وقف يتأمل البناية ذات الثمانية طوابق في رهبة. . . نظر خلفه فلم ير إلا ضباباً كثيفًا لم يمكنه من تبيّن أي شيء من خلفه. . . نظر مرة أخرى إلى البناية التي لم يستطع أن يتبين أعلاها الغارق في الضباب. . . .

نظر إلى ساعته ثم التف حوله في قلق وكأنه ينتظر أحداً.

ما هي إلا دقائق معدودة حتى سمع صوتاً عميقاً من خلفه يقول له: لقد جئت في موعدي تماماً وها هي الأمانة. . .

نظر خلفه في لهفة فوجد يد الشخص الذي كلَّمه تمتد إليه من وسط الضباب، وتحمل إليه كتاباً كتب على غلافه عبارات لم يستطع تبيُّنها. . .

سمع ذلك الصوت العميق يخاطبه مرة أخرى، وهو يقول: لا تتعجل قراءة فصوله الثمانية. . . ثم أشارت يده إلى طوابق البناية وقال في خفوت: فلكل أجلٍ كتاب. . .

لم يفهم تماماً ما الذي يعنيه، فنظر بقلق إلى البناية مرة أخرى، ثم مد يده ليأخذ الكتاب، ولكن فجأة استوقفه ذلك

الصوت المهيب مرة أخرى وهو يقول: لآخر مرة أعرض عليك تلك الأمانة هل ستستطيع أن تحمل ذلك الكتاب إلى صاحبه؟...

لوهلة كاد أن يشفق على نفسه من حملها، ولكنه عقد أمره وقال وهو يمد يده ويطبق على الكتاب: نعم...

ما إن لمس الكتاب وحتى اقشعر جسمه، وخُيِّلَ إليه أنه سمع الجبال من حوله تأنّ.. مكث في أذنيه ذلك الطنين وكأنه ينتقل بين السمٰوات والأرض لبضع ثوان...

نظر إلى الكتاب الذي في يديه بإجلال وكاد أن يتقدم نحو البناية، إلا أن استوقفه ذلك الصوت مرة أخرى وهو يقول: لا تنس وعدك وشهادتك التي شهدتها أمام صاحب البناية بالأمس.. ألم تشهد له وتعده بحفظ تلك الأمانة؟

رد عليه باقتضاب: بلى.

رد عليه الصوت وهو يبتعد ويتردد صداه بين الجبال المحيطة بالمكان: إذاً سر على بركة الله يا عبد الله...

حدَّق في الضباب من خلفه وهو يحاول أن يرى محدّثه دون جدوى... عندها تشبث بالكتاب الذي يمسكه بيديه وتقدم في بطء نحو مدخل البناية...

ضغط على زر المصعد فوجده يقبع في الدور السابع...

راقب ببصره لوحة المصعد ونورها ينتقل من السابع الى أسفل.. وقف المصعد في الدور الثالث قليلاً، ثم بدأ رحلة النزول مرة أخرى...

ما إن وصل المصعد إلى الدور الأرضي حتى تشبث أكثر بالكتاب، ونظر إلى باب المصعد وهو يفتح ببطء...

ما إن فُتح باب المصعد حتى خرج منه رجل كهل وهو يتسند على شابين من على يمينه وشماله. دقق النظر في ملامح الكهل فوجده شاحب الوجه أبيضه... عيناه تحدقان في مزيج مخيف بين الرعب والحسرة...

نظر إلى وجهه الشاحب الذى حاكى وجوه الموتى في قلق وخوف شديدين، ثم ازدرد لعابه بصوت مسموع ومضى إلى داخل المصعد...

ما إن دخل إلى المصعد حتى وجد عامل المصعد يبتسم إليه ويسأله بهدوء: أي دور؟

رد عليه بلا تردد: الدور السابع إذا سمحت...

ما إن ضغط العامل الزر إلى السابع حتى أُغلق باب المصعد وأخذ في الصعود ببطء... حاول عامل المصعد أن يكسر حاجز الصمت فسأله بود: حضرتك الدكتور أمين أليس كذلك؟

رد عليه باقتضاب: بل اسمى عبد الله.

رد عليه عامل المصعد: ظننتك الدكتور أمين. . . .

وقبل أن يرد عليه عبد الله وقف المصعد في الدور الثالث ودلف إليه رجل وقور في العقد الرابع من عمره يمسك بيده لعبة للأطفال وبدا منهمكاً تماماً وهو يضغط زرائرها بحماس. . .

رحب به عامل المصعد قائلاً: كيف حالك يا أستاذ عبد الغفار؟. . .

بدأ المصعد في العروج مرة أخرى وجاوبه الأستاذ عبد الغفار بسرعة: بخير. . بخير. . لقد اجتزت حاجز الألف في هذه اللعبة اللعينة وسأصل إلى رقم قياسي هذه المرة لن أتركها حتى أصل إلى الألفين. . .

أخذ المصعد في العروج ثم تردد في الأجواء صوت أذان الظهر من بعيد. . .

- أيه دور يا أستاذ عبد الغفار هذه المرة؟ لم يلتفت عبد الغفار إلى عامل المصعد صاحب الصوت وقال بخفوت وهو مستمر في اللعب: الثاني. .

وفي هذه اللحظة وصل المصعد إلى الدور السابع والتفت عامل المصعد إلى عبد الله وقال: السابع يا أستاذ عبد الله. إذا

أردت أن ترتقي إلى الدور الثامن فيجب عليك أن تستقل المصعد الذي في أقصى اليمين فهو الوحيد الذي يصعد إلى الثامن. . .

أومأ عبد الله برأسه شاكراً وهو لا يفهم لماذا قال له ذلك وهو يريد أن يصعد إلى السابع فقط ! فسأله بسرعة وهو يخرج من المصعد: أليس الحاج عبد الحق صاحب البناية يسكن في السابع؟ . . .

رد عليه من داخل المصعد وبابه يُغلق وهو يبتسم في ود: الحاج عبد الحق عنده عدة شقق في جميع الطوابق. . . ابحث عنه وستجده. . .

حاول أن يسأله عن رقم الشقة وكاد أن يفعل لولا أن أغلق باب المصعد على من بداخله وبدأ رحلة النزول إلى الدور الثاني. . .

تلفت عبد الله حوله وتأمل الردهة الطويلة الممتدة أمامه ولم يعرف من أين يبدأ. . .

حاول أن يجد أي علامات على أبواب الشقق حتى وجد لافتة على أحد الأبواب مكتوب عليها. . . «إذا أردت أن تصل إلى الحق فاقرع الجرس». . .

أحس عبد الله أنه وجد ضالته فقرع الباب وأدخل الكتاب في جيبه. . .

ما هي إلا لحظات حتى فُتح الباب برفق وطالعته فتاة جميلة

قالت له برقة: تفضل... سرح في عينيها العسليتين لوهلة ثم سألها في ارتباك: أهذه شقة الحاج عبد الحق؟

قالت له: نعم، ثم أردفت بخبث: فالبناية كلها ملكه...

ـ لم أقصد ذلك، بل قصدت إن كان بالداخل؟

ـ في الحقيقة لا أعلم ولكنك تستطيع أن تنتظره... تفضل...

ـ في الواقع لقد جئت لأرد إليه شيئاً يخصه...

كادت أن ترد عليه ولكن في هذه اللحظة تردد صوت الإقامة لصلاة الظهر من شقة مجاورة... فأسرعت الفتاة تقول بدلال: ترد عليه شيئاً يخصه؟ هذا أدعى أن أستقبلك أحسن استقبال.. تفضل...

ـ إن لم يكن موجوداً فسأذهب لأصلي الظهر ثم آتي بعد ذلك لأقابله .

ردت عليه وهي تركز عينيها على عينه: كلا، أقصد إن هذه أمانة كما تقول، فهب أن الحاج عبد الحق جاء ثم نزل؟ فالحاج عبد الحق كثير التنقل... صدقني..

كاد أن يعترض ولكنها اقتربت منه في تمايل وهي تجذبه برفق إلى الداخل وتقول وهي تخضع بالقول: هل تريد أن يحضر

الحاج عبد الحق ويعلم أني لم أقم بواجبات الضيافة على أكمل وجه؟!... ثم غمزت بعينها وهي تقول: ثم إنني وحدي في الشقة ولن يضيرنا أن نتعرف لبعض الوقت... تفضل...

دخل إلى الشقة متردداً فقامت بخلع معطفه عنه ونظرت إليه نظرة ذات مغزى ثم قالت: انتظرني لحظة لأحضر لك شيئاً تشربه.

اختفت عن ناظريه دقائق معدودة ثم عادت وقد أسالت شعرها الأسود الفاحم على كتفيها وهي تمشي ببطء حتى لا تسكب كأسَيْ الخمر اللذين تمسكهما بأناملها...

جلست إلى جانبه ووضعت ساقاً على الأخرى وداعب أنفه أريج عطرها النفاذ، وأحس به يتسلل بعمق ورفق إلى خلايا مخه كلها...

ازدرد عبد الله ريقه واعتدل في جلسته قليلاً ليبعد نفسه عنها قليلاً وهو يقول بصوت حاول أن يجعله غير متلعثم: بصفة عامة متى يأتي الحاج عبد الحق؟...

ردت عليه وهي تختلس نظرة سريعة إلى فمه ثم إلى عينه: الحاج عبد الحق ليس له مواعيد وأنا نفسي أغادر عملي وقت الفجر ولم أره من قبل أبداً... ثم مالت عليه وهي تقول

بخفوت: يقولون أن الحاج عبد الحق قد توفي منذ زمن وأن خادمه عبد الحيّ هو الذي يستر هذه الحقيقة حتى يتسنى له إدارة مجلس البناية ويجمع أموال الصيانة وخلافه...

ـ رد عليها بعدم تصديق: ولكن هذا غير معقول.. ثم استطرد وكأنه تذكر شيئاً...

ولكن عامل المصعد قال لي أنني سأجده و...

قاطعته بتحدٍ: ولكن هل رآه؟!

تردد قليلاً ثم قال:

ـ لا أعرف ولكن...

قاطعته بأن أمسكت كأساً ومالت عليه مرة أخرى وهى تناوله إياه وتقول: أرجوك لا تنفعل هكذا... خذ اشرب لتهدئ من روعك قليلاً...

لامست أناملها الصغيرة يده وهي تعطيه الكأس فأمسكه بتوتر وقربه من فمه وكاد أن يرشف منه رشفة إلا أنه أبعده فجأة عندما تسللت رائحة الخمر إلى أنفه وسألها باستنكار: هذا خمر؟

قالت له بخبث وهي ترتشف من كأسها: وهل ستحلو جلستنا إلا بقليل منه؟!

ـ ولكنني لا أشرب...

قاطعته بضحكة مجلجلة ثم قالت: في بنايتنا هذه تستطيع أن تفعل ما تريد وقتما تريد...

حاولت أن تحمل إليه كأسه مرة أخرى وهي تميل بجسدها نحوه، إلا أنه أبعد يديها في رفق وهو يقول: يجب أن أذهب لأصلي...

نظرت إليه لوهلة ثم اعتدلت في جلستها وهي تقول له بجدية: أنت مؤمن أليس كذلك؟

ـ بلى والحمد لله...

ـ ولذلك لا تشرب؟

ـ هذا سببٌ من الأسباب.

ـ وما الأسباب الأخرى؟..

ـ أنني غير مقتنع بجدواها أو أهميتها أو حلاوتها...

ـ وهل جربت الخمر من قبل؟

ـ كلا.....

ـ وهل إيمانك يدعوك ألا تفكر في أي شي.....

ـ بالعكس فهو يدعوني إلى التفكر والتدبر في جميع أفعالي وأنت ألستِ مؤمنة؟

تجاهلت سؤاله تماماً وقالت له وهي تتأمل عينيه:

ـ أنت غريب بحق.

ـ غريب؟ لماذا؟

ـ لأنك تتصنع أن إيمانك يدعوك للتفكر وهو ليس كذلك. . . . . .

عقد حاجبيه في غضب وهو يقول: كيف ذلك؟

ـ أنت غير مقتنع بحلاوة الخمر وجدواه مع أنك لم تجربه من قبل وبالمثل أنت تؤمن بالله ولم تره من قبل ثم تدّعي أن إيمانك يدعوك إلى التفكير. . . .

رشفت رشفة من كأسها وهي تتأمله وكأنها تقرأ نتيجة قولها على وجهه أعقبتها بأن لحست شفتيها بلسانها ثم تأملته قليلاً وهو يفكر فيما تقول. . .

سكت لبرهة مفكراً ثم استطرد وكأنه وجد ضالته: أشياء كثيرة في هذه الدنيا تعرف من آثارها والمؤمن الفطن يستطيع توقعها دون أن يفعلها. فقط بالتدبر في آثارها. . . . . .

قالت وكأنها كانت تتوقع إجابته: تقصد آثار الخمر؟

ـ بل أقصد النقطتين اللتين ذكرتيهما معاً: فآثار الخمر معروفة لكل الناس من صداع واشمئزاز ونوم ثقيل، وما يعقبه من شعور

شديد بالاكتئاب هذا من ناحية. . . أما بالنسبة لإيماني بالله فآثاره تدل عليه، وإن زاد إيمان المرء يصل إلى درجة أن الله هو الذي يدل على آثاره. يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: 45]. . ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45]، فالظل من آثار الشمس والإنسان العادي يستدل على وجود الشمس بوجود الظل، ولكن الإنسان الأكثر إيمانا يستخدم الشمس دليلاً على الظل وليس العكس. . .

نظرت إليه وهي تتصنع عدم الفهم، وقالت: ولكن تلك الآثار لا تدل عليه باليقين ولكنه مجرد احتمال. . . فلماذا لا تكون تلك الآثار قديمة قدم الكون نفسه؟. . .

رد عليها وهو يفهم ما ترمي إليه: قولي لي: أنت لا تعلمين إن كان الحاج عبد الحق ميتاً أم لا؟ ولكنك تؤمنين بوجوده أليس كذلك؟

ـ نعم، لست بالضرورة أؤمن بوجوده، فأنا لم أره أبداً من قبل كما قلت لك .

ـ ولكن أليس هو بان البناية ومالكها؟. . .

ـ هو مالكها فقط.

ـ وعبد الحيّ هو مديرها الفعلي الآن أليس كذلك؟

ردَّت عليه وهي لا تفهم إلى أين يرمي:

ـ بلى ولكن...

ـ قاطعها قائلاً: وقد رأيت عبد الحيّ أليس كذلك؟

ـ بلى...

ـ وهو يقول: إن عبد الحق ما زال حياً يزرق...

ـ نعم ولكن ليس بالضرورة أنه يقول الحق و...

استمر في مقاطعتها قائلاً:

ـ وهذه البناية ذات الثمانية طوابق أيعقل أن تكون قديمة قدم الكون دون أن يبنيها أحد؟...

ـ لا، لا يعقل ولكن ذلك مثال مختلف، فالكون قد يكون قديماً؟

ـ نعم ولكن كيف أوجد...

ـ أنت تقيس أشياء في حياتنا على أشياء في الكون وهذا غير منطقي...

ـ لماذا غير منطقي؟

ـ لأنك لو استخدمت نفس منهج تفكيرك لسألت نفسك من أوجد إلٰهك أيضاً...

ـ أَسْهَلُ على عقلي أن يؤمن بأن هناك خالق لكل شيء، وهو الأول لم يُخلق من أن أؤمن بأن الكون قديم لم يُخلق، أو أن خالقي له خالق وأن خالقه له خالق، وهكذا حتى لا يصل العقل إلى شيء...

ـ ولكن هذا ما أريد أن أقوله: ليس من المحتم أن يصل العقل إلى شيء فأنا لا أدّعي أنه لا يوجد خالق لذلك الكون، فأنا لا أستطيع أن أجزم بذلك، ولكنني لا أستطيع أن أجزم بغير ذلك أيضاً... ولذلك فأنا أرى أن إيمانك هو مجرد عاطفة أنت تريدها... فأنت محتاج أن يكون هناك رب لهذا الكون ليأخذ لك حقوقك الضائعة، والاحتياج في حد ذاته ليس بدليل. فالإنسان هو خالق فكرة ربه وليس العكس...

نظر إليها ملياً وكاد أن يقول شيئاً، ولكنها أحست بأنها عادت لتمسك بزمام الأمور فلاحقته بقولها: إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يُظهر إلينا إلٰهك هذا آيات قاطعة حتى لا يخوض الناس في جدل مثل جدلنا هذا؟

ـ ولكنه فعل، لقد أرسل لنا الرسل وأيَّدهم بمعجزات و...

ـ هل رأيتها بنفسك؟...

ـ لا.

ـ إذاً كيف...

قاطعها وكأنه يعرف بقية السؤال: أؤمن بها، لأنني أثق فيمن رواها، ثم إنها مقصودة لأهل زمانها وليس لنا، فمن شاء أن يؤمن بها ومن شاء فليكفر وإيماني بهذه المعجزات من عدمه لا يخل بإيماني بخالق واحد لهذا الكون، وإنما ذكرت لك هذه المعجزات رداً على ادّعائك بأنه لا توجد آيات قاطعة. فأنت تدّعين ذلك ولك مطلق الحرية وأنا بدوري أدّعي وجود هذه الآيات القاطعة وآخرها كتاب: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...

اختلست نظرة سريعة إلى ساعتها ولما تيقنت أن من بالشقة المجاورة قد فرغوا من الصلاة تنهدت بارتياح وهي تستأنف:

ـ سنفترض جدلاً أنك أقنعتني بأنه يوجد خالق لهذا الكون... ما الذي يدرينا أنه مثلاً حرَّم علينا شرب الخمر؟...

ـ هذا نعرفه من خلال الدين الذي هو رسالة الخالق لنا...

ابتسمت في سخرية وقالت:

ـ وما الذي يدريك أن ذلك الخالق لم يخلق ذلك الكون مثل الساعة ثم تركه...

ـ لأنه هو القيوم فهو قائم على شؤون عباده، فلا يعقل أن

يترك الصانع صنعته هكذا، ولا يعقل أن لا يشرح صنعته للآخرين وأن لا يوضح لهم كيفية استخدامها...

نظرت إليه وكأنها غير مقتنعة، وكادت أن تتفوه بشيء إلا أنهما سمعا جرس الباب يدق، فنظرت إليه ثم غمزت بعينها، وقالت وهي تقوم لتفتح الباب: بعد إذنك... ثم استطردت بتهكم بصوت خفيض لم يسمعه: فيبدو أن هناك زبون جديد نظر إليها بتساؤل ورآها وهي تتمختر بمشيتها نحو الباب وتفتحه.. وجدها تكلم أحداً حاول أن يستمع إليها، فلما لم يستطع أرجع رأسه إلى الخلف ليريح ذهنه بعد ذلك النقاش والجدل، وما أن لمست رأسه ظهر المقعد، حتى انتفض فجأة وهو يتذكر كلمة ذلك الذي أعطاه الكتاب في الضباب:

«لكل أجلٍ كتاب» وضع يده بتلقائية في جيبه وأخرج الكتاب.. تردد للحظة وتذكر أنه في الطابق السابع ففتح فصله السابع، وأخذ يقرأه على عجل وهو يختلس نظرات سريعة إليها، فلما رآها ما زالت عند الباب نظر مرة أخرى إلى الكتاب وقرأ فيه:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين: 4-5]: التردي السابع: سيحاول الشيطان ــ أن يبدأه معك بالكفر... نظر بين السطور في عجل ثم أكمل القراءة: سيحاول

أن يشككم في وجود الله ﷻ وفي وجود الجنة والنار والأنبياء رضوان الله عليهم. . . . .

نظر إليها عند الباب ووجدها تجذب من بالخارج إلى الداخل كما فعلت معه، فنظر في الكتاب وأكمل القراءة سريعاً إلى أن وصل ببصره إلى نهاية الفصل فاستأنف القراءة: لا منجى من كل ذلك إلا بتجديد الإيمان بالإكثار من قول: لا إلٰه إلا الله، ثم الإكثار من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإنه ليس له سلطان على الذين آمنوا والذين هم على ربهم يتوكلون. . . جال ببصره سريعاً إلى آخر الفصل وتنقلت عينه بسرعة بين السطور، وهو يراها بطرف عينه تتقدم نحوه وهي تجذب ذلك الرجل من خلفها. . . نحوه. . .

قرأ في نهاية الفصل: اعلم يا بني أن من دواعي النجاة من ذلك النوع من التردي، هو فعل الخيرات والمحافظة على الصلوات في أوقاتها. . . .

سَرَتْ بجسده قشعريرة ندم عندما تذكر أنه أضاع صلاة الجماعة وأغلق الكتاب بسرعة، ووضعه في جيبه قبل أن تجلس بجانبه مرة أخرى، وعلى يمينها ذلك الشخص الجديد. . .

نظر إليه فوجده منهكاً ومصاباً في وجهه ببعض الجروح الحديثة التي ما زال بعض الدم ينسال منها على وجهه. . .

نظر إليه ثم قال في دهشة:

ـ ما دهاك؟ هل أنت بخير؟

رد عليه بوهن وهو يقول:

ـ الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه...

ـ ماذا حدث؟.....

وقبل أن يجاوب ردَّت هي وهي تضع يديها حول رقبة الرجل بغنج وهي تشاور إليه:

ـ إن عبد الجبار رجل قوي يهوى الشجار و...

ـ أبعد يدها عن رقبته بعنف وهو يقول:

ـ إليك عني يا إمرأة... فما دخلت إلى وكرك هذا، إلا لأنك أقسمتي لي أنك تعرفين كيف أصل إلى الدور الثامن...

أبعدت يديها في غضب متصنع وهي تقول:

ـ ولكن لكل شيء ثمنه...

ـ ماذا تريدين؟...

ـ شيء بسيط جداً... ثم أشارت إلى كأس الخمر الممتلئ الخاص بعبد الله وهي تقول: أن تشاركني الشراب...

وهنا تَدَخَّل عبد الله وقال: أما أنا فسأدلك عما سألت دون

مقابل... ثم نظر إليها وقال بتحدٍ: فإن فعل الخير يحميني منك...

نظرت إليه بدهشة وهلع وكادت أن تقول شيئاً، إلا أن عبد الجبار التفت إليه بأمل هو يسأله:

هل صحيح؟ هل... وهل ستدلني كيف أصل إلى الدور الثامن؟...

قال له عبد الله وهو ينهض من مكانه ويستحثه على النهوض: ليس قبل أن أغادر ذلك الوكر المشبوه....

قالت في هياج: كلا انتظرا... ثم نظرت إلى عبد الله، وقالت: فلم نكمل حديثنا بعد...

نظر إليها عبد الله نظرة غضب ممزوجة بسخرية، ثم نظر إلى عبد الجبار، وقال بحسم: هيا...

تبعه عبد الجبار إلى الخارج وسط صيحاتها، وما إن وجدا نفسيهما في الممر، حتى قال عبد الجبار: الحمد لله الذي أنجانا منها...

رد عليه عبد الله: ولكنها تعرف اسمك هل تقابلتما من قبل؟

ـ كل من يأتي إلى هذه البناية لابد أن يمر عليها أولاً فهي.. ثم قطع حديثه فجأة وهو ينظر إلى عبد الله ببعض الشك، وهو يقول: ولكن إياك أن تكون واحداً منهم...

ـ عقد عبد الله حاجبيه بعدم فهم: واحد منهم؟...

ـ رد عليه عبد الجبار: لا عليك.. لقد وعدتني أنك ستخبرني عن الطريق إلى الدور الثامن...

ـ ليس قبل أن تقول لي: من أصابك بهذه الجروح؟

تلفت عبد الجبار حوله ثم قال بصوت خافت: لقد جئت لتوي من الطابق الأول..

ـ وما الذي يعنيه ذلك؟!

ـ الطابق الأول يا أخي هو الأذى كله . وأنا لا أنصحك أبداً أن تذهب إليه..

ـ ماذا تقصد بالأذى؟

ـ أقصد أن كل من يقطنه من الأشرار الذين لا يحبون الخير لأحد أبداً، فَهُمْ ما إن يرونك تدعو إلى الخير أو تفعله، حتى ينهالوا عليك بأقذع الشتائم والضرب الشديد..

فكر عبد الله قليلاً ثم قال: وما الذي دعاك إلى أن تذهب إلى هناك؟

قال عبد الجبار بحسم وإصرار: لقد حَملت أمانة لتنوء الجبال والسمٰوات من حملها ويجب أن أسلمها إلى صاحبها...

ـ قال عبد الله وكأنه وجد ضالته.... .

ـ هل ستسلمها إلى عبد الحق صاحب البناية؟ . . .

رد عليه عبد الجبار وبدأ يتسلل الشك إليه: نعم، ولكن كيف عرفت؟

ـ لأنني أنا أيضاً أحمل إليه أمانة . . .

ـ عقد عبد الجبار حاجبيه، وهو يقول: أيّ أمانة هذه؟

ـ أظهر عبد الله جزءاً من الكتاب خارج جيبه وهو يقول: هذه . .

تنهد عبد الجبار بارتياح ثم قال:

ـ يبدو أنها نفس الأمانة التي أحملها . .

رد عليه عبد الله قائلاً:

ـ ولكن لماذا تبحث عنه في الطابق الثامن؟

قال وهو يتأوه من آلام جروحه:

ـ لأنني بحثت عنه في جميع طوابق البناية، ولم أجده ولم يبق إلا الطابق الثامن.

ـ إذاً لقد وفرت عليّ الكثير . . تعال لنذهب نحن الاثنان حتى نجده في الثامن . . . .

قاده عبد الله إلى المصعد الذي يقع على يمين المصعد الآخر ثم أشار إليه قائلاً:

ــ هاهو سبيلنا إلى أعلى .

ضغط زر المصعد وما هي إلا ثوينات قليلة، حتى نزل من أعلى، وقبل أن يدلفا فيه نظر عبد الجبار في ساعته وقال: أرجو أن يكون هناك مكان للوضوء في أعلى، فإن العصر على وشك أن يؤذن له..

انتفض عبد الله وقال: العصر! لم أصلِ الظهر بعد.. يجب أن أصليَ حالاً...

في هذه اللحظةً فُتح المصعد الذي على الشمال، وأطل منه عامل المصعد فلما رآهما قال: ــ مرحباً بكما مرة أخرى... أين ستذهبان هذه المرة؟...

تراجع عبد الجبار خطوتين إلى الوراء فسأله عبد الله وهو يستحثه على الرد: أين أقرب مُصَلى فأريد أن ألحق الظهر...

أشار عامل المصعد إلى هذه الشقة التي أقيمت فيها صلاة الظهر.. هناك واحدة هناك، ولكن هذه الشقة ما هي إلا مكتب والجميع يغادرونها قبل صلاة العصر.. ثم قال متذكراً وهو يزيح نفسه جانباً: آه.. تعال فهناك واحدة في الطابق السادس...

تردد عبد الله للحظة ثم نظر إلى عبد الجبار، وقال له: سألحق بك إذاً إلى أعلى.....

شكره عبد الجبار بإيماءه من رأسه، ثم دلفا مسرعَين كلٌّ إلى مصعده. . . . .

نظر عبد الله إلى ساعته، ثم إلى عامل المصعد وهو يقول: أرجو أن ألحق. . . وما أن قالها حتى وصل المصعد إلى الطابق السادس. . .

وقبل أن تطأ قدميه خارج المصعد حتى تناهى إلى مسامعه نداء العصر. . .

خرج من المصعد نادماً وهو ينوي أن يعوض الظهر الذي فاته، وأن يصلي العصر في موعده هذه المرة. ما إن خرج حتى وجد شخصين يقتربان منه قال له أحدهما في عجل: هيا. . فستبدأ المباراة بعد ثوان معدودات.

ـ عفواً؟ أي مباراة هذه؟؟

اتسعت عيناه في دهشة ثم ابتسم في بلاهة وقال:

ـ أنت بالتأكيد تهزأ بي. . .

ـ أنا لا أهزأ، ولكنني فعلاً لا أعرف أي مباراة تقصد. . . .

ـ إنها أهم مباراة لهذا العام: إنها مباراة فريقنا القومي. . .

كاد أن يسأله: ضد من. . ولكنه تذكر الصلاة فسأله: أين أستطيع أن أصلي؟. . .

ـ سَنُصَلِّ جميعا معاً بين الشوطين فَلْتُصَلِّ معنا حتى تأخذ ثواب الجماعة...

ـ ولكن...

جذبه زميله وهو يقول بحسم: هيا فستبدأ المباراة..

دلفوا إلى صالة كبيرة بها شاشة كبيرة مثبتة في أعلى الغرفة، وكان هناك أناس كثيرون يجلسون وسط ضجيجهم وهتافهم.. وبدأت المباراة...

وبعد مرور بضع دقائق اتضح أن الجماهير منقسمين على أنفسهم بين مؤيد لذلك الفريق وذاك..

احتد النقاش بين الشوطين، وكادت أن تنشب معركة بالأيدي، حتى بدأ الشوط الثاني.. مر نصفه حتى انتفض جسد عبد الله، ووضع يده في جيبه بسرعة وأخرج الكتاب، وأخذ يقلب صفحاته حتى وصل إلى فصله السادس وقرأ فيه:

«اعلم أن التردي السادس هو أقل صعوبة من التردي السابع، ولكنه أخطر؛ لأنه متكرر ويحدث بين كل فينة والأخرى.. سيحاول الشيطان هنا أن يلهيك عن أداء الفرائض في أوقاتها بأن يجعلك تفعل أشياء أخرى في نفس الوقت. قد تكون هذه الأشياء حلالاً أو حراماً وغالباً ما تكون حلالاً، فجل ما يعنيه في هذه

المرحلة هو أن يلهيك عن الصلاة، حتى ينسيك ذكر الله، فهل أنت منته؟ فإن لم يستطع أن يدفعك إلى الحرام شغلك بالحلال عن المفروض.. واقرأ إن شئت: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: 5]...

و فضلاً عن أنه سيحاول أن يلهيك في الصلاة نفسها، ولكنه يلهيك عنها أيضاً...

مقاومة هذا النوع من التردي هو أداء الفرائض في أوقاتها والالتزام بها و...

طوى الكتاب بقوة عندما تذكر الصلاة، ووقف فجأة والتفت حوله، ثم كاد أن يسأل من بجانبه عن مكان ليصلي فيه، إلا أنه سمع صوتاً من خلفه يقول: «يا أستاذ.. اجلس من فضلك.. لا أستطيع أن أرى...

نظر إليه عبد الله وقال وهو شارد الذهن: وأنا أيضاً لم أكن أرى جيداً...

رد عليه الرجل وهو يتمايل يميناً ويساراً ليشاهد المباراة من خلف عبد الله: ومالي أنا بك! تنح جانباً أو لتجلس مكانك!...

رد عليه عبد الله بهدوء: لا.. سأترك لك المكان كله... هل تعرف أين أستطيع أن أصلي؟

أشار بيده باستهتار: هناك: هناك...

لما لم يجد عبد الله مكاناً حيث أشار.. جال بخاطره أن يستطع أن يصلي في أي مكان، فتولى إلى الظل وشرع في صلاته...

ما إن فرغ من صلاته حتى قرر أن يعود إلى عامل المصعد ليسأله عن الحاج عبد الحق.. انتظر، حتى جاءه المصعد، وما إن فتح حتى وجد عامل المصعد ومعه شخص آخر...

سأله عبد الله مسرعاً قبل أن يغلق الباب مرة أخرى:

لا أجد الحاج عبد الحق في أي مكان...

أشار إليه عامل المصعد أن يدخل ففعل، وما إن دخل حتى قال له بأدب: عفواً سأوصل الأستاذ عبد الرحمٰن إلى الطابق الثالث أولاً.

خرج الرجل مسرعاً إلى الطابق الثالث فضغط عامل المصعد الزر، ثم سأل عبد الله: إلى أين هذه المرة؟

ـ كنت أسألك عن الحاج عبد الحق هل هو فعلاً في الطابق الثامن؟

ـ ربما.

ـ إذاً لنصعد إلى الثامن أرجو أن أجده هناك.

ـ ولكن لتستطيع أن تبلغ الطابق لابد أن تستقل المصعد

الآخر، وهو لن يأخذك إلى أعلى، إلا أن كنت تحمل مفتاحه الخاص...

ـ مفتاحه الخاص؟..

ـ نعم...

ـ وأين إليَّ بهذا المفتاح؟

ـ ستجده مع العم عبد الفتاح. ولذلك فأنا أنصحك أن تبحث عن الحاج عبد الحق في الطوابق السبعة، أولاً لعلك تجده بدلاً من أن تتكبد عناء الحصول على المفتاح، ثم لا تجده في الطابق الثامن...

في هذه اللحظة انتبها أن المصعد لم يزل ثابتاً لا يتحرك، فسأله عبد الله في حيرة...

ـ ما الخطب...

ـ رد عليه متعجباً: يبدو أن التيار الكهربائي قد فُصل...

ـ وما العمل إذاً؟...

ـ أقترح أن تخرج هنا يا سيدي فلعلك تجد أحدهما...

نظر عبد الله إلى الخارج في قلق، وقبل أن يخرج سأله: بالمناسبة، كيف حصل عبد الجبار على مفتاح المصعد الآخر...

ـ لم يكن معه المفتاح عندما نقلته من الطابق الثالث إلى الخامس، ثم نقلته بعد ذلك إلى الطابق الأول.

فكر عبد الله قليلاً ثم قال: إذاً عم عبد الفتاح هذا إما أن يكون في الخامس أو في الأول.. ثم عقد أمره وخطا خطوة خارج المصعد ثم تمتم بخفوت: ولكنني سأبحث هنا أولاً لعلنيّ أجد الحاج عبد الحق...

نظر إلى الردهة الطويلة الممتدة من أمامه، ثم نظر إلى ساعة الحائط الكبيرة في أعلى الردهة، فوجد عقاربها تشير إلى الرابعة والنصف...

وقبل أن يتخذ قراره لأين يذهب سمع جلبة وضجيجاً يخرج عن أحد الغرف...

اقترب منها في حذر فتناهى إلى مسامعه صوت موسيقى صاخبة، وفجأة فُتح الباب وخرج منه شابين فتيين يمسك كل واحد منهما لعبة في يده ويقول أحدهما للآخر: ولكن هذه المرة غلبتني بصعوبة، ثم نظر إلى ساعته واستطرد: «فقد لبثنا بالداخل زهاء الثلاث ساعات فقط . هل تصدق؟ دلف عبد الله إلى تلك الغرفة، فوجد كماً كبيراً من الألعاب الإلكترونية.. ازدحم المكان بالشباب والكبار على حدٍ سواء، وأخذ عبد الله يتلفت

حوله لعله يجد ضالته... وجد أحد الألعاب حولها زحام شديد، فاقترب منها فسمع الناس تهتف من حوله وتصرخ...

ربت على من بجانبه، وهو يقول بصوت عالٍ حتى يسمعه: هل تعرف الحاج عبد الحق؟

لم يعره الرجل أي اهتمام فعاد يسأله:

ـ إذا سمحت، هل تعرف الحاج عبد الحق، أو عم عبد الفتاح...

ردَّ عليه الرجل بخشونة: عبد الحق من وعبد الفتاح من؟!! ألا تراني مشغولاً؟! كيف تسألني مثل هذا السؤال وأنا في خضم اللعب...

نظر عبد الله إلى تلك الشاشة التي قبعت أمامه، والتي أخذ يُصوب إليها رشاشاً غير حقيقي، ويضغط زره بهستيرية...

نظر إليه بتعجب وإلى الناس التي أخذت تصيح وتميل يمنة ويسرةً كأنهم تتخبطهم الشياطين من المس...

هز رأسه باستنكار ثم أخذ يسير وسط الناس بين هائج وصائح...

وفجأة جال بخاطره خاطر، فوضع يده داخل جيبه، وأخرج كتابه وفتحه على الفصل الثالث: وقرأ... التردي الثالث:

الشيطان هنا أن يضيع وقتك وما عمرك إلا هذا الزمن . سيشغلك بكل ما هو مباح حتى لا تكثر من الحسنات، والإنسان ذو الفطرة السليمة سيظن أن اشتغاله بالمباح لا شيء فيه، ولا يعلم أن الشيطان جلَّ همه أن يصرفه عن فعل الخير، حتى يُزَيِّن له فعل الشر ألم تعلم أنه ــ لعنه الله ــ أقسم بأن يقعدن لهم صراط الله المستقيم؟!...

خرج من الغرفة مسرعاً وما إن خرج حتى اصطدم بشخص كان سيدخل الغرفة، قال له عبد الله معتذراً.

ــ عفواً... أنا آسف... فلم أكن..

ــ لا عليك.. فلم أكن أنظر أنا الآخر... ثم قال: هل فرغت من اللعب بهذه السرعة؟

ــ في الواقع...

قاطعه الرجل قائلاً: يبدو وأنك لم تجرب لعبة: الدخلاء لو جربتها ما تركتها أبداً. قالها.. ثم حاول أن يجذبه برفق قائلاً: تعال سأريك إياها...

جذب عبد الله يده بأدب، وقال له: شكراً ولكنني لا أستطيع فعل ذلك الآن فأنا أبحث عن شخص ما .

ثم استطرد قائلاً: هل تعرف الحاج عبد الحق أو عم عبد الفتاح...

ابتسم الرجل ثم قال:

من لا يعرفهما؟...

انفرجت أسارير عبد الله بعض الشيء ثم قال:

إذاً فأنت تعرفهما هل رأيت أحدهما.. هل تستطيع أن تدلني عليه؟...

اتسعت ابتسامته ثم قال: في الواقع لم أر الحاج عبد الحق منذ فترة كبيرة، ولكنني أستطيع أن أدلك على عم عبد الفتاح .

ـ بحق.. إذاً أرجوك لتفعل.. فأنا أريده بشدة...

ـ ولماذا تريده؟

تردد لوهلة ثم قال: لأنه هو الذي يستطيع أن يعطيني مفتاحاً لأصل إلى الطابق الثامن...

ضاقت حدقة عين الرجل وهو يقول: ولماذا تريد أن تصعد إلى الطابق الثامن؟

ـ لأقابل الحاج عبد الحق... هل ستدلني على عم عبد الفتاح؟...

قال بصرامة: لا !

ثم ابتسم وانفرجت أساريره، وقال ببساطة: لأنك تقف أمامه الآن!

قال في ذهول:

ـ ماذا ! هل أنت.. هل أنت عم عبد الفتاح؟

ـ أنا بعينه...

ـ حمداً لله.. إذاً أرجوك ساعدني...

ـ بكل سرور، ولكن للأسف كل مفاتيحي في شقتي في الطابق الخامس، ثم نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، وهي تشير إلى الخامسة والنصف ثم قال:

ـ ولكنني يجب أن أدخل و...

قاطعه عبد الله قائلاً:

ـ أرجوك... ساعدني أولاً ولن أنس لك هذا الجميل أبداً..

فكر لثوانٍ، ثم قال: لا بأس.. هيا بنا...

مشيا معاً حتى وصلا إلى مكان المصعد الذي لم يكن موجوداً فضغط عبد الفتاح الزر...

قال له عبد الله:

ـ يبدو أن التيار الكهربائي قد وصل مرة أخرى...

ما إن قال جملته السابقة، حتى وصل المصعد فدلفا فيه بعد أن سلم عليهما العامل... ما إن وصلا إلى الطابق الخامس،

حتى اتجها نحو شقة في أقصى يسار الردهة ففتحها عبد الفتاح ودخلا...

ـ تفضل.. قالها عبد الفتاح وهو يخلع معطفه ثم استطرد: استرح حتى أحضر لك المفتاح.

غاب لدقائق ثم عاد وفي يده كأساً من الخمر قدمها لعبد الله...

ـ شكراً.. فأنا لا أشرب...

ـ مستحيل.. لا يمكن أن تكون ضيفي، ولا تشرب معي... قالها ثم صب لنفسه وله كأساً فشكره مرة أخرى، وقال: ولكنني لا أشرب مطلقاً شكراً لك.....

ـ نظر إلى عينيه نظرة طويلة، ثم هز كتفه في لا مبالاة ورفع كأسه إلى فمه وتجرعه...

رفع الكأس عالياً، ثم قال له بحركة مسرحية: سأعطيك المفتاح الذي سيوصلك بالطابق الثامن فما أنت فاعلٌ لي بالمقابل...

ـ وماذا أستطيع أن أفعله لك؟

ـ سكت لبرهة ثم قال: في الواقع تستطيع أن تسدي لي معروفاً لن أنساه لك ما حييت..

نظر عبد الله إليه بشك، وقال:

ـ وما عساه أن يكون ذلك المعروف؟...

سكت مرة أخرى حتى ساد الغرفة سكون مخيف قطعه عبد الفتاح بصوت عميق، وهو ينظر مباشرة على عينيه:

ـ أريدك أن تقتل عامل المصعد.....

ـ ماذا؟:! ماذا تقول؟::! هل جننت؟!!

ـ كما سمعت تماماً... أنت غريب في هذه البناية ولن يشك فيك أحدٌ أبداً..

قاطعه عبد الله بصوت محشرج:

ـ ولماذا تريد أن تقتله؟

ـ لقد بدأ في إثارة غضبي فهو يدل الناس على معلومات لا يجب أن يعرفوها، وأنا أشك أنه يتنصَّت عليّ...

ـ قال له عبد الله بذهول:

ـ تشك؟ تريد أن تقتل الرجل لأنك تشك... أنت بالتأكيد تَهْذي... أنت تسخر مني أليس كذلك؟!

ـ أنا لا أسخر منك البتة، فأنا بالفعل أريد رأس الرجل... ثم أخرج من جيبه بطاقة الكترونية رفعها إلى أعلى ثم قال: وهذا المفتاح هو ثمن مساعدتك ليّ...

انتفض عبد الله من مجلسه وقال له: أنت بالتأكيد تمزح.. لا يمكن أن يكون ما تقوله صحيحاً... تريدني أن أقتل الرجل!

ـ ستريح جميع من يقطن البناية منه.. فهو يوقع بين الناس، وكثرت الفتن من جرّاء نميمته وكثرة كلامه... ثم استطرد في خبث: وأنت تعرف أن الفتنة أشد من القتل.

ـ أنا لا أستطيع أن أكمل... أنت بالتأكيد مجنون!

قالها واستبقا باب الغرفة. وعبد الفتاح من ورائه يقول له: لن تستطيع أن تصل إلى الطابق الثامن بدوني إن خرجت...

ضغط عبد الله مقبض الباب بعنف: ثم نظر خلفه، وقال باعتداد: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2] ... وهمَّ بالخروج فإذا به بنفس الفتاة التي رآها في الطابق السابع، فقال لها بدهشة: أنت؟!...

دفعته إلى داخل الغرفة مرة أخرى، وأغلقت الباب خلفها وقالت بخبث: ألم أوحشك؟..

جلس عبد الفتاح على مقعده الوثير يراقبهما ورآها، وهي تضع يديها حول خصره وتقول: أَجِبْني ألم أوحشك؟...

سكت لبرهة واختلس نظرة سريعة إلى قميصها الأزرق الذي يشف ويصف أكثر مما يستر.. فتلعثم وتمتم قائلاً: ماذا تريدين مني؟

تجاهلت سؤاله ثم اقتربت منه وقالت: أريد أن أعطيك ما تريده...

ـ ولكن...

ـ قاطعته بضحكة مجلجلة دوت في أرجاء الغرفة: لا ليس ما تفكر فيه، ولكن تفكيرك أعجبني... ثم اقتربت منه أكثر، وقالت وهي تنظر إلى عبد الفتاح ثم إليه:

ـ فذلك الذي تفكر فيه نستطيع أن نفعله عندما نكون وحدنا... ألم أقل لك أنك تستطيع أن تفعل ما تريده في هذه البناية وقتما تريد!!...

ـ ازدرد ريقه ثم قال بتهكم وعصبية في آن واحد، وهو يتجه إلى باب الغرفة: حقاً؟!! لنرى! فأنا أريد أن أخرج من هنا والآن!

ـ قطعت عليه الطريق فقال لها: ماذا تريدين مني؟

ـ أريد أن أعطيك ما تريد... سأعطيك ما لم تستطع أخذه من عبد الفتاح... سأعطيك المفتاح...

نظر إليها وكأنه يستحثها على أن تكمل فقالت: سأعطيك المفتاح ولكن بشرط...

سكتت لوهلة بدت له كالدهر، ثم أشارت إلى الغرفة الخالية في داخل الشقة ثم قالت بترجٍ: أن نكمل حديثنا بالداخل...

نظر إلى الفراش الوثير في داخل تلك الغرفة، ثم إليها ثم استجمع شجاعته وقال: لو رفضت؟؟

نظرت إليه ملياً... ثم إلى عبد الفتاح ثم قالت: الرفض ليس خياراً..

ـ ماذا تعني؟

قالت له في خشونة لا تتناسب مع رقتها الظاهرية: أمامك شيء من ثلاث: إما أن تشاركنا الشراب والسهر، وإما أن نستأنف حوارنا بالداخل، وإما أن تقتل عامل المصعد!...

ـ ولكنني أرفض أيّاً من هذه الأشياء... أنتما مجنونان.. ثم حاول أن يفتح الباب ولكنه وجده مُحْكم الإغلاق...

ضحكت مرة أخرى ثم قالت: صدقني لن تستطيع: فلا تحاول أن تجهد نفسك.. ثم استطردت في خبث: وَفِّرْ مجهودك هذا لحوارنا بالداخل...

تنقلت عيناه بينهما ثم قال باستسلام:

ـ وهل لو فعلت أحد هذه الأشياء، هل ستعطوني المفتاح وتخرجونني من هنا؟...

برقت عين عبد الفتاح فنهض وَهَمَّ إليه بالكأس، وهو يقول: طبعاً.. طبعاً.. والآن أيهم تختار؟...

وضع يده في جيبه وكاد أن يخرج الكتاب، ولكنها اقتربت منه وأمسكت يديه وهي تقول بدلال: هه.. أيهم تختار.. ثم أردفت في خبث بصوت خفيض لم يسمعه: بل قُلْ بأيهم تبدأ؟...

بدا محتاراً وفكر: أنَّ مَنْ قتل نفساً، فكأنما قتل الناس جميعاً ثم تذكر: أن فاحشة الزنى وأنه ساء سبيلاً ثم عقد عزمه ومد يده إلى عبد الفتاح، وأخذ الكأس وتجرعه جرعة واحدة...

احمرت وجنتاه بشدة من جراء الخمر.. وما إن فرغ منه حتى ناولته كأساً آخراً. حاول أن يرفض ولكنها قالت له بطفولية وهي ترفع الكأس إلى شفتيه: هل تشرب منه ولا تشرب مني؟؟

أخذ منها الكأس وتجرعه مرة واحدة أيضاً، وما هي إلا لحظات، حتى كان عبد الله يترنح من آثار الخمر... أحس بالدنيا تدور من حوله وأحس بالأرض تقترب منه و... هوى... لم ير بعدها إلا ظلام دامس...

فتح عينيه ببطء فرأى ثرية معلقة في أعلى الغرفة.. دعك عينيه وهو يقاوم ذلك الدوار الشديد الذى يكتنفه، فلما تبين أنه ينظر إلى سقف الغرفة تيقن أنه مستلق على ظهره... تلفت حوله بسرعة فوجدها مستلقية بجانبه ورأى قميصها الأزرق معلقاً في أقصى الغرفة. نظر إلى ساعته فرآها تجاوزت التاسعة مساءً..

فهز رأسه بألم ثم انتفض من السرير وارتدى ملابسه وهو لا يكاد يصدق نفسه...

نظر إليها باشمئزاز وهي ممددة على السرير تنظر إليه فردت عليه بابتسامة بها مزيج مخيف بين السخرية والكراهية.

سألها بحدة: أين المفتاح؟!...

ردت عليه بلا مبالاة:

ـ لا أعرف فقد خرج عبد الفتاح .

أمسكها بعنف وقال: أين ذهب؟...

تأوَّهت وهي تزيحه عنها: إنك تؤلمني...

لم يبل بصرختها وهو يسألها: قولي لي أين ذهب، وإلا قتلتك...

حاولت مقاومته ولكنه أمسكها من رقبتها، وهو يعاود سؤالها...

قالت بحشرجة وقد استحال وجهها إلى لون حاكى لون قميصها: لقد ذهب إلى الطابق الثاني...

تركها بعنف وَهَمَّ بالخروج، وما إن فتح الباب حتى سمعها تقول بكراهية شديدة: كنت ستقتلني!... هل تريد أن تقتلني مثلما قتلت عامل المصعد؟!

تَسَمَّر في مكانه لوهلة من هول ما سمع ثم صرخ: ماذا تقولين؟! أنت مجنونة هل تسمعينني أنت مجنونة!... مريضة!...

خرج من باب الغرفة الذي تُرك وأسرع الخطا نحو المصعد...

أخرج كتابه من جيبه وهو يتجه نحو المصعد فقرأ فيه: اعلم أن التردي الخامس هو من أشد التردیات... يقع فيه الكثيرون إلا عباد الله المخلَصين... سيحاول الشيطان هنا أن يوقعك في الكبائر، فلا منجى منها إلا الاعتصام بالله، فإن لم تستطع فعليك بالتوبة النصوح والصلاة بالليل والناس نيام...

أغلق الكتاب وأطبق عليه بقوة وانسالت من عينيه دمعة ساخنة واعتصر قلبه الندم...

ما إن وصل إلى المصعد حتى وجد بابه مفتوحاً، ولشدة ألمه ودهشته وجد عامل المصعد مقتولاً وملقىً على الأرض، فندت من أعمق أعماقه صرخة ألم...

دخل المصعد في عجل وأزاح عامل المصعد برفق إلى خارجه وضغط على الزر الثاني عدة مرات بغضب هائل .

نزل المصعد دوراً واحداً حتى وصل إلى الطابق الرابع، فدلفت منه سيدتان سألته إحداهما: سيدي هل أتيت من الطابق الخامس؟

قال لها باقتضاب: نعم...

نظرت إليه بتساؤل ثم قالت: هل سمعت أو رأيت ما يحدث هناك؟...

سألها: وماذا يحدث هناك؟...

ـ يقولون: إن مدام مديحة التي تسكن في شقة 56 تحب السيد عبد الفتاح الذي يسكن الطابق نفسه.. ويقولون: إنهما يتواعدان سراً.. ثم أشارت إلى زميلتها وقالت: مروة صديقتي هي التي تقول إنها رأتهما معاً.

دخلت مروة في الحديث قائلة: كلا. أنا لم أرهما، ولكن الناس يقولون: إنهما شوهدا معاً أكثر من مرة.

ردَّت عليها الأولى: يقولون: إن السبب هو أن زوج مدام مديحة...

قاطعها عبد الله قائلاً: أرجوك.. كفى.. لا أريد أن أسمع تلك الترهات.. هذا حرام و...

ردَّت عليه مروة: حرام؟! حرام لماذا يا أستاذ؟! نحن لم نقترف كبيرة من الكبائر فهذه صغائر سيغفرها لنا الله .

كاد أن يرد عليها، ولكن وصل المصعد إلى الطابق الثاني في ذات اللحظة، فخرج منه مسرعاً، وهو يحمد الله أن نجاه من لغوهما..

فتح الكتاب على فصله الرابع وقرأ: التردي الرابع: سيحاول الشيطان أن يزين لك الصغائر على أنها لا تضر.. وأنها ليست كالكبائر وأن الله سيغفرها.. فاعلم يا عبد الله أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.. واعلم أنه واقع في الصغائر لا محالة.. استعن إذاً بكثرة الاستغفار والإكثار من الحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

هز رأسه وهو لا يكاد يصدق نفسه مما وقع فيه من آثام حتى الآن، وقبل أن يحرك ساكناً اقترب منه رجل ذو لحية طويلة ويسأله في حدة: لماذا أنت غير ملتحٍ؟!

رد عليه باستجواب: ماذا؟

ـ قلت لك: أين لحيتك.

وضع يده على ذقنه التي أنبتت لحية خفيفة، فقال عبد الله وهو يحاول أن يبتسم:

يوجد بعضها.. ولكن يا أخي هل تستطيع أن تدلني على شيء؟ فأنا أحسبك على خير.. معي أمانة ويجب أن أوصلها إلى صاحبها هل تستطيع أن تد.... .

قاطعه بحدة: لا أستطيع أن أضيع الوقت معك الآن.. لابد أن ألحق صلاة الجماعة.

نظر عبد الله إلى ساعته فلما وجدها تشير إلى حوالي العاشرة سأله متعجباً: أي صلاة الآن. رد عليه مقتضباً: صلاة التهجد.

ـ ولكن يا أخي أن تدلني عما أريد وتقضي لي حاجتي لن يضرك؛ بل قد يكون أولى من الصلاة في هذه الحالة..

كشر جبينه وقال له وهو يشير إليه بإصبعه محذراً:

ـ أتفتي بغير علم؟!!.. يا لك من متجرأ: :!! احذر يا هذا أن تتكلم فيما لا تفهمه.

ـ ولكن قضاء حوائج الناس مقدم قطعاً على النوافل.

ـ تركنا النوافل حتى تركنا الفروض، وهذا مدخل من مداخل الشيطان.

ـ كلا.. اسألني أنا فقد اكتسبت خبرة مع مداخل الشيطان، فالشيطان يُزين لك الأقل أهمية بأنه أهم.

ـ وماذا تعرف أنت عن فقه الأوليات؟!

وضع عبد الله يده في جيبه وأخرج الكتاب وفتحه على الفصل الثاني، ثم قال للرجل: استمع: ثم شرع في القراءة: اعلم أن الشيطان سيشغلك بالأقل أهمية عن الأكثر أهمية، فعليك بالعلم والتعلم وعليك أن تتفقه في الأوليات، وإن لم تعرف فسأل من هو أكثر علماً و...

قطع الرجل عليه قراءته ثم قال بتعنت: أنا لست مختلفاً معك في كل ما تقوله هذا، ولكن اختلافنا في أيهما الأكثر أهمية.

استوقفه عبد الله بيده وأشار إليه أن يكمل الاستماع له:

ـ فالأصول مقدمة على الفروع والفرائض مقدمة على السنن والنوافل، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية، وحق الجماعة مقدم على حق الأفراد، ويجب أن تعرف أولوية الفهم على الحفظ وأولية العلم على العمل، وأولية المقاصد على الظواهر.. ثم استطرد وقال له ببطء:.. وأولوية التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير!!.

رد عليه الرجل وهو يقول: والله صدقت يا أخي فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 28].

ثم سأله: ما هذا الكتاب؟!

ـ إنه الأمانة التى أحملها ويجب أن أسلمها إلى صاحبها، فهل ستساعدني؟!

ـ كيف أساعدك؟!

ـ إنني أبحث عن الحاج عبد الحق لأعطيه هذه الأمانة.

ـ الحاج عبد الحق غالباً ما يكون في خلوته في الطابق الثامن.

ـ صدقت. ولكن كيف لي أن أصل إليه، فلا بد لي من مفتاح للمصعد أليس كذلك؟

ـ بلى، عليك أن تجد عم عبد الفتاح..

ـ نعم أعرف ذلك، ولكنني لا أستطيع أن أجده.

ـ وإن وجدته لن يعطيك إياه إلا بشق الأنفس.. أخذ نفساً عميقاً ثم قال: هناك حل وحيد ولكنني لا أنصحك به.

ـ ما هو أَسعفني به أرجوك..

سكت ملياً ثم قال: أن تنزل إلى الطابق الأول.

ـ وماذا في ذلك؟

قالها ثم فجأة تذكر عبد الجبار فقال: إنه طابق الأشرار أليس كذلك؟

ـ بلى إنه كذلك.. ولا أنصحك بالذهاب إلى هناك أبداً.

ـ وهل عندك حل آخر؟

ـ كلا ولكن هؤلاء الأشرار سيؤذونك أشد الأذى و...

ـ ولكنني أحمل الأمانة ويجب أن أسلمها إلى أصحابها..

ـ ولكن...

ـ قاطعه قائلاً: يجب أن أذهب إلى هناك، ثم رفع كتابه إلى

أعلى، وقال: ولكنني سأذهب مُتَحصناً هذه المرة، فتح الكتاب على فصله الأول وقرأ:

التردي الأول: سيسلط الشيطان عليك الناس بالأذى، فمنهم من يسبك إن دعوته إلى الله، ومنهم من يهزأ به، ومنهم من سيتطاول عليك، والحل في هذا النوع من التردي هو الصبر ولا شيء إلا الصبر.. وبه تنل نصيبك من ميراث النبوة.

أغلق الكتاب وكاد أن يعود إلى المصعد إلا أن فكر في عقله للحظة جعلته يرتعد..

أحس به الرجل فسأله: ما بك؟ أأنت على ما يرام؟

لم يرد عليه عبد الله فعاود سؤاله فانتبه إليه وقال: نعم، نعم... لقد طَرَأَتْ لي فكرة لا أعرف... ربما... قطع حديثه بأن سكت ثم أخرج الكتاب مرة أخرى وفتحه..

فتحه هذه المرة على فصله الثامن..

وقرأ فيه: اعلم يا عبد الله أنك وصلت الآن إلى الفصل الأخير ومعنى أنك تقرأ ه الآن: هو أنك ما زلت تحتفظ بالأمانة على الرغم من ترنحك بين ترد ومقاومة، فاعلم أن الثبات جزاؤه كبير.. وأول جزاؤه أنك من خلال قراءتك لهذا الفصل ستسلم الرقم السري الذى يفتح لك المصعد اليميني، فأنت الآن من أصحاب اليمين وآن لك أن تلحق بهم...

استمر في القراءة لبعض الوقت، وهو يكاد لا يصدق أنه سيصل إلى غايته دون أن يخوض، حتى محنة الطابق الأول.

سلَّم على صاحبه، ثم اتجه نحو المصعد وانتظره حتى جاء فدلف فيه.

نظر إلى لوحة المفاتيح لوهلة، ثم نظر نظرة سريعة إلى الأرقام المتراصة أمامه، ودون أدنى تردد رفع يده وضغط على الزر السابع..

ما إن وصل الى الطابق السابع حتى خرج من المصعد.. نظر إلى تلك الغرفة المكتوب عليها: «إن أردت أن تعرف الحق فاقرع الجرس» نظر إليها باستهزاء ثم قال بصوت عال في شمم: بل إن الحق أحق أن يتبع!

مضى إلى المصعد الآخر.. اليميني.. ضغط على زره حتى جاءه، فدلف فيه وتأمل لوحة الأزرار التى خلت، إلا من زر واحد يصعد إلى أعلى..

ودون أدنى تردد ضغط عليه وعرج به المصعد إلى الطابق الثامن.. إلى عبد الحق.. إلى منتهى غايته.. ونجاح حمل أمانته.. أخرج الكتاب من جيبه ليبحث عن الرقم السري.. ثم انتبه أن المصعد صعد به إلى أعلى دون أن يدخل أيِّ رقم

سري.. عندها.. وعندها فقط أيقن أنه هو الذى يخلق الغشاوة التي تحيط ببصيرته... وأنه هو القادر على أن يتغلب عليها بفضل الله..

فما كان ينبغي عليه، إلا أن يخطو الخطوة الأولى نحو غايته لتُفتح له الأبواب وليعرج إلى عليين.. وما أدراك ما عليون.. كتابٌ مرقوم.